مـــــواجـــــهـــــات غـــــــارودي

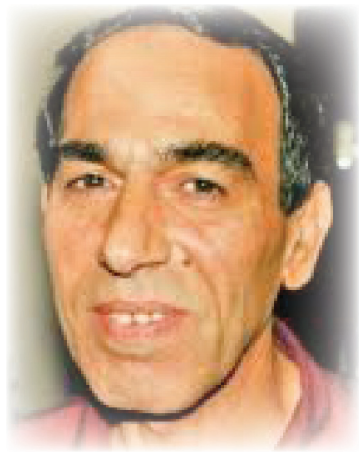

فاضل السلطاني

لا يمكن فهم جوهر التحولات الفكرية الكبرى في النصف الثاني من القرن العشرين، من دون الرجوع إلى فكر غارودي. كان وحده كتيبة فكرية، من معركته الكبرى مع الوجودية التي اعتبرها «فلسفة غير إنسانية»، وهو عنوان كتاب له ردا على كتاب سارتر «الوجودية فلسفة إنسانية»، إلى معركته مع بيته الداخلي، ونعني حزبه الشيوعي الفرنسي، الذي كان عضوا في مكتبه السياسي، والحركة الاشتراكية العالمية. كانت معركة مع إمبراطورية فكرية كاملة، ودفع ثمنا باهظا في وقت مبكر لم يجرؤ أحد فيه على رفع سبابته في وجه من كان يسمونهم آنذاك « المنظرين السوفيات» الذين رسموا سياسات الأحزاب الشيوعية في أوروبا وخارجها من مقاعدهم في الكرملين.. لقد حول هؤلاء الفكر الماركسي إلى مقولات معلبة أرادوها أن تصلح لكل زمان ومكان، وجعلوا الأفكار تحل محل الواقع، بل أن يستنبط الأفكار من الواقع كما كان يفعل ماركس، أي أنهم، بكلمة أخرى، جعلوا النظرية الماركسية تقف على رأسها بعد أن كانت واقفة على قدميها، وهو عكس ما فعله ماركس مع ديالكتيك هيغل.

هذا ما كان يذكر به غارودي دائما، ويناضل إلى جانب بعض رفاقه في الحزب الشيوعي الفرنسي مثل الفيلسوفين هنري لوفيفر ولويس ألتوسر، من أجل تصحيحه بلا جدوى. وفعل ذلك أيضا مع «الواقعية الاشتراكية»، التي أرادها الفكر الجدانوفي أن تكون التعبير الجمالي والأدبي عن الحركة العمالية والفكر الاشتراكي. رفع غارودي صوته قويا تقريبا ضد هذا الاتجاه، الذي يتنافى مع المبادئ الماركسية الأصلية، وحتى مع فكر لينين في ما يخص الأدب الإنساني. لقد أعاد غارودي في كتابه «واقعية بلا ضفاف» الاعتبار إلى كتاب وفنانين صنفهم الفكر الجدانوفي السوفياتي باعتبارهم كتاباً برجوازيين صغارا، وبالتالي حظرت أعمالهم في البلدان الاشتراكية مثل فرانز كافكا وسان جون بيريس وبيكاسو، على الرغم من عضوية الأخير في الحزب الشيوعي الفرنسي. استند غارودي في قراءته الرائدة تلك إلى فكر ماركس نفسه، الذي أحب شكسبير، وكان يفضل النبيل بلزاك، على روائي الطبقة العاملة إميل زولا، مثلما كان لينين يفضل بوشكين على مايا كوفسكي، شاعر ثورة أكتوبر/ تشرين الأول، إذ كان هؤلاء ينظرون للعمل الأدبي كقيمة جمالية، أولا وأخيرا. ابتداء من هذا الكتاب، بدأت الهوة تتسع بين غارودي وحزبه الشيوعي الفرنسي المتمسك، كغيره من الأحزاب الشيوعية آنذاك، بالخط السوفياتي، وبما كان يسمى آنذاك «علم الجمال الماركسي»، الذي أساء للأدب كثيرا، كما أساء لماركس نفسه. وبعد معركته الجمالية الكبرى هذه، انتقل غارودي إلى معركته الفكرية مع النظرية السوفياتية السائدة آنذاك في ما يخص مفهوم الطبقة العاملة، والتطور الرأسمالي، والانتقال إلى الاشتراكية ومراحله، وديكتاتوريي البروليتاريا، وذلك في كتابه «منعطف الاشتراكية الكبير»، الذي استخدم فيه للمرة الأولى في الفكر الماركسي مصطلح «الملف التاريخي الجديد» . وهو يعني بذلك أن مفهوم الطبقة العاملة لم يعد كما هو في فترة ماركس، وإنما توسع كثيراً خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، والتقدم التقني في البلدان الرأسمالية، فأصبح يضم شرائح واسعة من المجتمع غير مرتبطة بالعمل اليدوي المباشر، وإنما بالعمل الذهني كالمعلمين والمدرسين والمهندسين والأطباء والمثقفين، المنسحقين تحت ضغط رأس المال، والذين يبيعون إنتاجهم الفكري والذهني، كما يبيع العامل إنتاجه المادي تماما. دفع غارودي كثيرا ثمن هذه الشجاعة النادرة في مواجهة تيار عالمي عارم، وبنية فكرية مترسخة في البلدان الاشتراكية السابقة، والأحزاب الشيوعية المنتشرة في عموم الكرة الأرضية، فلحق به ما يشبه التكفير في أيامنا هذه تحت التسميات الجاهزة آنذاك: تحريفي، برجوازي صغير، معاد للطبقة العاملة، أو مرتد. وهي تهم جاهزة دائما للأسف في الكثير من الأحزاب الشيوعية آنذاك. أدت القطيعة الفكرية والتنظيمية مع الحزب الفرنسي، والمنهج الفكري السائد، إلى ما يشبه الاهتزاز النفسي، فليس سهلا أن يجد المرء نفسه فجأة في العراء بعد أن فقد إيمانه بفكرة ما ملكت عقله وروحه أغلب سنوات حياته. سيسود شعور بخواء فكري وروحي لا يمكن ردمه إلا ببدائل أخرى، وهمية أو غير وهمية. وإذا كان رفيقه ألتوسير، عضو المكتب السياسي للحزب الفرنسي آنذاك وأحد أكبر مفكريه، قد فقد عقله وأنهى حياته، فإن غارودي، الذي لم يكن يستطيع أن يعيش بلا إيمان أو دين كما صرح أكثر من مرة، اختار الصوفية كبديل لم يصمد طويلا. ووجد هذا الرجل، الذي ثار على منهج ستالين، نفسه مروجا لنظرية القذافي العالمية الثالثة! ومدافعا خجولا عن نظام صدام حسين. فقد زار العراق في أوج القمع الفكري والسياسي، وذكر في مقابلة مع تلفزيون بغداد، أن ما يقال عن انتهاك حقوق الإنسان في العراق أمر لا يعنيه، فهو لا يتدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد، وإنه «قابل المسؤولين العراقيين وتعلم منهم الشيء الكثير.» هي أخطاء كبرى بالنسبة لرجل مثل غارودي، لكنها لا تحجب مسيرة فلسفية وفكرية كبرى ساهمت في رسم مسار القرن العشرين، وستبقى مؤلفات مثل «واقعية بلا ضفاف»، و«النظرية المادية في المعرفة» و«ماركسية القرن العشرين»، و«المنعطف الكبير للاشتراكية» و«الماركسية والوجودية»، و«الماركسية والأخلاق»، و«نحو واقعية القرن العشرين – دراسة حول يرناند ليجير»، و«مساهمة تاريخية في الحضارة»، و«الإسلام وأزمة الغرب»، مرجعيات كبرى يحتاج إليها المرء في كل زمان ومكان.

قناديل

■ لطفية الدليمي

عبد الفتاح كيليطو

حصان نيتشة وخصومة الصور والواسطي

يضم كتاب(حصان نيتشة) الاعمال السردية الكاملة لعبد الفتاح كيليطو مترجمة الى العربية مابين قصص وحفريات وصحائف ممتعة ،وبين هذه السرديات روايتان قصيرتان هما (خصومة الصور) و (حصان نيتشة) ..

يعمل كيليطو على سردياته بطريقة تشبه التناسخ فهي تتكون من سديم متناثر ، تتقارب موادها وتتباعد، تتصل وتفترق ويتكرر ظهور الشخصيات كما عند كثير من الكتاب في عدد من النصوص ثم تختفي لتعاود الظهور ثانية وكأن الكاتب يتيح لها ان تحيا من جديد وتغير عاداتها واساليب عيشها ومصائرها .

يتعذر الفصل بين المقالة والسرد لدى الكتاب المتحررين من القوالب فهم يرون الكتابة فضاء حرية لاتحده التصنيفات والأطر المسبقة ،وقد تتجاذب النصوص فيما بينها وتتكامل كما يقول عبد الكبير الشرقاوي مترجم سرديات عبد الفتاح كيليطو للعربية وهو يصف قصص كيليطو التي تتوالد من متن مقالة أو دراسة ، او العكس فقد يتطور مشهد سردي لدى كيليطو إلى دراسة او مقالة ،وعندها يصعب الفصل بين البحث الفكري والادبي وبين التخييل ، فنعثر على كتابة متفردة تعصى على التصنيف الذي دأب عليه النقاد التقليديون.

يتساءل كيليطو في مفتتح روايته الصغيرة (خصومة الصور) التي صدرت ترجمتها للعربية (٢٠٠٥)عن علاقة العرب بـ(الصورة) ويضع أمامنا حشدا من الاسئلة حول الموضوع وكأن افتتاحية روايته مشروع دراسة او مقالة عن علاقتنا بالصور فيقول (كثيرا ماتساءلت كيف كان ممكنا للعرب في الماضي ان يستغنوا عن الصورة . يبدو انهم ماكانوا يهتمون بذلك اطلاقا ، وهم على اية حال لم يبذلوا أي جهد لتخليد صورهم . ماذا كانت صورة هارون الرشيد والمتنبي وابن رشد ؟؟لن نعرف ذلك ابدا مع ان الرسم كان موجودا في بعض الحقب)

لقد غدت الصورة المرئية في أيامنا هذه أساسا لثقافة القرن العشرين ومن دونها لايتعرف أحد الى أحد بينما غابت عن المشهد التراثي العربي باستثناء اعمال الرسام العراقي يحيى بن محمد الواسطي الذي كسر تابو الحظر على رسم الانسان والكائنات الحية وتمرد على التقاليد السائدة وعانق ابداعات اسلافه سكان العراق الاوائل في سومر وبابل واشور وجسد لنا باسلوبه الساحر وبنائه الهارموني للصورة وايقاعات الوانه وحركات الشخوص المتناغمة – وقائع مقامات الحريري وصورها بالوان مبهرة نقلت الينا معارف كثيرة عن نمط عيش العراقيين في زمنه فمن ازياء وعادات وتقاليد ورحلات واحداث وحكايات وسلوك بشري ماكان لاحدنا ان يتعرف اليها لولا رسومات الواسطي الساحرة ، يعود كيليطو ليتساءل: (ماهو المكسب الذي حققه العرب بامتناعهم عن التمثيل بالصورة واذا كان غياب الصورة نقصا فكيف عوضوه ؟؟الثقافة التي تحظر الصورة او تهملها الا توظف ذاتها في مكان آخر ن في الكلمات والنصوص وفي أدب فريد ؟؟ربما كانت هذه هي الوجهة التي ينبغي منه مساءلة ظواهر مثل السجع والالعاب اللفظية وتقنيات تجويد الخط التي تحاول تصوير النص وتشخيصه)

لادري كيف فاتت كيليطو الاشارة الى تمرد الواسطي على موضوعة حظر الصور ؟؟ وانه كان الرسام الاسلامي العربي الاول الذي انفلت من اغلال القمع التحريمي وانجز تجسيده الفريد لرسومات مقامات الحريري .

لقد حقق الواسطي ذاته وذوات الآخرين واخرجها من عدم الانكار والتخيل الى حقيقة الرؤية والتجسيد ، فكان الفنان الرائد الذي انوجد في الشكل المصور وأوجد سواه وسبق تساؤلات كيليطو عما يمكن ان يفقده العرب بدخولهم عصر الصورة التي فرضتها الثقافة المعاصرة .

نافذة ضوء

الشاعر عواد ناصر

اشتغالاتي الأخرى أهش بها على علمي

محمود النمر

اردناها نافذة تسلط الضوء على اخر منجز ابداعي سواء كان ذلك شهراً ام رواية تشكيلاً ام اي جهد يتخطى الاخرين .. ولكن بالابداع.

× أين تضع ديوانك الأخير "أحاديث المارة"؟

– أنا اعتبره كتابي الأول بجد وليس مزحة، لان مجاميعي الأوَل صدرت في الخارج.

× أسماؤهن ؟

– الأول "من اجل الفرح أعلن كابتي"، و"حدث ذات وطن"، و"هنا الوردة في النقص هنا"، ولازمني سوء الحظ وسوء في السياسة، فالكتب لم توزع بشكل جيد ولم تصل إلى القارئ العراقي، لذلك هم يجهلون هذه الكتب، علماً أني اعتبر "أحاديث المارة" هو كتابي الأول وهو من إصدارات دار المدى للثقافة والفنون، وأتمنى ألا يكون الأخير.

× "أحاديث المارة" قريب جدا مما يدور في الشارع؟

– العنوان كما قيل وتكرر، وأنا اسميه "تجريد محتوى الكتاب" وتقديمه إلى القارئ، علّه يغريه باقتناء الكتاب أو قراءته أو متابعته، أنا اعتبر نفسي ابن الشارع العراقي ومازلت وقصيدتي هي ابنة الشارع العراقي ،فهي بنت الرصيف والمقهى والبيت والركن والزقاق، لذلك جاءت التسمية بهذا العنوان ، وأنا سرقت هذا العنوان، من محيي الدين بن عربي، فله تعريف جميل للشعر، يقول "إن الشعر هو تكثيف لأحاديث المارة".

× ولكن القارئ العراقي تعرف عليك من خلال الصفحة الثقافية في جريدة المدى وأيضا عندما أصدرت لك عن دار المدى للثقافة والفنون؟

– أنا عندي مجموعة مؤجلة من الكتب تنتظر الاصدار ،واحد هذه الكتب جاهز عند دار المدى وهو الجزء الاول من ثلاثة كتب وهو من كتابات ونقود واعمدة صحفية والى اخره ، وهي اشتغالات حول الثقافة والهم الثقافي العراقي والعربي وحتى العالمي باعتباري مقيم في لندن ، وسأرسل الى المدى الجزء الثاني ، بعدما اتأكد من الجزء الاول في مرحلة الطبع .

× ما اسم هذا الكتاب، أقصد الجزء الأول؟

– "رصيف الكلام" ولدي مجموعة شعرية أخرى، وكذلك سأرسل مجموعة تخص تجربتي في إقليم كردستان، وعندي مجموعة من القصائد ستصدر عن دار الثقافة الكردية، وقد تم الحديث عنها في مهرجان المربد مع الإخوة الكرد.

× ألم تجرّب الكتابة باللغة الانكليزية؟

– هذا أمر صعب جداً، ليس عليّ فقط بل على كل الذين أعرفهم، فهناك كلمات وظلال الكلمات، وهناك مشاعر أو رؤى خاصة، لا يمكن التعبير عنها، وهذا ليس ضعف في طريقة استخدام اللغة، ولكن حتى أفضلنا باللغة الانكليزية صعب عليه ذلك، أنا لا اعرف أحدا ألف كتابا باللغة الانكليزية ،حسب معلوماتي.

× كيف تعيش في لندن؟

– عملي في الصحافة، أو كما يقولون بالانكليزية " freelancer" انشر في المدى وفي الزمان والأسبوعية، والاشتغالات الأخرى أهش بها على علمي.

× كيف وجدت المربد والمربديون؟

– مهرجان المربد يشكل فسحة ضوء وسط مشهد عراقي معتم ومغبر، لكن اعتقد نحن بحاجة إلى ان يكون هناك مزيد من التمرين، لنذير مثل هكذا فعاليات، يعني هناك فوضى وصخب، وعدم احترام عام للشعر ولقراءة الشعر ، فالجمهور يتحدث ولا نستطيع سماع الشاعر، يعني أمورا فنية محضة ولكن الشباب في اللجنة التحضيرية في البصرة تحديدا، بذلوا جهدا كبيرا ، ويستحقون على ذلك كل الثناء.

× ما هي هذه الفوضى؟

– هناك فوضى وبيروقراطية حتى في التعامل مع الشعراء القادمين من الخارج في طريقة الحجز والدعوة فليس من المعقول هناك أشياء ..... لا أريد أن أدخل في التفاصيل .

متابعة

الاسكندري في الخميس الإبداعي

عن الخليلة الثالثة عشرة للإسكندر الكبير

المدى الثقافي

ضيّف الخميس الإبداعي الأسبوع الماضي احد الشعراء الذين تمكنوا من خلق عالم شعري خاص به، وقد وضع بصمته التي ترسخت منذ أيام النشر عن طريق الاستنساخ اليدوي المحدود، متواصلا في نحت منجز متفرد، لا يشبه أحدا من أقرانه، تكلل بمجموعته الأولى (أيام كارتون) حيث استطاع أن يمزق كل شرنقات النصوص القديمة ويدخل من باب الطلاسم لينثر نصا جامعا مفتوحا فيه عبق السرد القصصي وفيه إعادة لقراءة التاريخ.

بهذه الكلمات قدم الشاعر هادي الناصر ضيف الملتقى الشاعر علي الاسكندري الذي غمرته تحولاته الشعرية، حيث جاء من مدينته الاسكندرية الغارقة تحت ظلال النخيل، وقد وصفها الشاعر من خلال الورقة التي قرأها "مدن خارج المتن" التي جاء فيها :

"إنها ليست الكوفة ولا البصرة ولا أثينا ولا روما ولا ايثاكا، إنها جدول صغير وبعض بيوتات، قيض لها أن تكون في منتصف المسافة بين أسوار بابل ومعابدها الموغلة في القدم، وسور بغداد الذي تناهبته الحروب والغزوات، مساحات من الحقول الشاسعة والقرى البعيدة المولعة بالصبر، فهي على مرمى حجر من العاصمة، ولكنهم زرعوا بأحشائها بذور النار، فصارت تصدر البارود والقنابل.. بدلا من الأعناب والرطب، وأمست تطعم الجياع من أبنائها روائح الحديد والغازات السامة المنبعثة من أبراج المنشآت الحربية ومصانع الموت، انه زمن الحروب والعبث .. هكذا كان فجر السبعينيات من القرن الماضي بالنسبة لهذه المدينة.. مصانع للأسلحة.. ومصاهر للمعادن.. وأبراج تتقيأ السموم".

وذكر الاسكندري في ورقته التي خصصها لمدينته جميع التحولات الثقافية وذكر كل المبدعين، واستذكر الحراك الثقافي الذي استوعب الكثير من الأسماء من خلال المنتديات والاحتفاء بأسماء عراقية مهمة، كانوا يجيئون الى الاسكندرية وهم يحملون نتاجاتهم فرحين، ليعمدوها في محرابها الثقافي، تلك المدينة الغارقة تحت ظلال النخيل، وحبلى بأصابع البارود، وقد أصابها العطب.

"وبعد أن امتلأت بطنها بكل هذا الضجيج، وفد إليها المغامرون والباحثون عن فرصة للخلاص من براثن الجوع والفقر من محافظات البلاد، كل شيء تناسل في هذه المدينة الصغيرة، ومنذ وقت مبكر، الشوراع، المصانع... الأحياء الفقيرة، بل حتى الانفجارات المرعبة في هذه الحاضنات القاتمة للقنابل، فمصانع البارود كانت تعيش عقدة الفصام والغضب ونفاد الصبر، فكانت غالبا ما تثور في وجه المدينة وتلطخ سماؤها بالسواد والألم، وفي ذات الوقت كانت هذه المصانع تزحف بخبث ودهاء باتجاه المدينة وتقضم أطرافها وأصابعها الخضر وسواقيها وترعها الرقراقة.

وأكد الاسكندري أن هذه المدينة اهتمت بالإبداع والحركة الثقافية، فولدت الكثير من الشعراء منهم كمال الجميلي وستار الزكم ومظهر حسن وعلي أبو بكر وسالم سالم ورياض المعموري وسمير الجميلي وخالد البابلي وإبراهيم داود الجنابي وحسين السلطاني وفلاح صابر ومهند صلاح ومشتاق طالب منصور.